مفهوم التسامح

"رؤية نقدية في الفكر العربي الحديث والمعاصر"

د. فوزية عبدالله شمسان
استاذ مساعد في كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة صنعاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

الشر لا يوجد بذاته والخير لا يعد خيرا بذاته وانما بالنسبة الى الشر، ، فكذلك في التسامح Tolerance هنالك علاقة جدلية بينه وبين مصطلح اللاتسامح Intolerance. لأنه لا يمكن أن يعرف انطلاقاً من ذاته، ولكنه يتطلب دائماً المفهوم المناقض له . وعلى مدى التاريخ الإنساني عرفت البشرية أنواعا من التعصب، اختلفت دوافعه و غابت عنها العلاقة السوية مع الاخر. وعرفت التساهل بمعان ودلالات متنوعه ولكن على نطاق محدود. ولم يتسنى للتسامح كمفهوم نظري أن ينشأ الا بوجود الصراعات الدينية والمذهبية. ثم أصبح بعد ذلك مدخلا رئيسا للمطالبة بالحرية والعدالة والمساواة . وفي الفترة المعاصرة ساهمت الثورة العلمية والتقنية وما صاحبها من اختلال في موازين القوى السياسية والاقتصادية، في ظهور صراعات سياسية وثقافية واقتصادية و طائفية وعرقية واسعة، أدت الى انتشار ظاهرة التطرف والاقصاء للأخر المختلف .فعادت فكرة التسامح تفرض نفسها على الفكر المعاصر، كحاجة ماسة وضرورة ملحة، ولكن بصورة قانونية ارتبطت فيها بحقوق الانسان . دفعت هذه الضرورة عدد من المفكرين لبحث ومناقشة مفهوم التسامح.

ولم يحظ مفهوم التسامح في الفكر العربي الحديث والمعاصر بنفس الدرجة من الأبحاث والدراسات التي حظي بها التعصب، فلا زالت المساهمات محدودة وغير كافية على المستوى الفكري والأكاديمي. ومن هنا جاءت أهمية البحث في هذا الموضوع، الذي سعت فيه الباحثة الى تقديم رؤية مختلفة لمفهوم التسامح تنطلق فيها من دلالته التي تشير الى احترام الآخر والإعتراف بحقه في الإختلاف من باب الواجب الاخلاقي والفكري. لمعرفة مدى تمثل هذه الدلالة للمفهوم عند عدد من المفكرين في الفكر العربي الحديث والمعاصر. وقد استخدمت في سبيل ذلك منهج البحث التاريخي والمنهج التحليلي والنقدي.

وجاءت تساؤلات البحث على النحو التالي:

ما المقصود بمفهوم التسامح؟ وهل للتسامح معنى واحد أم أنه يحتمل أكثر من معنى؟ وما الظروف التاريخية التي فرضت نفسها على المجتمعات، ليصبح التسامح موضوعاً للتفكير؟ و هل ساهم الخطاب العربي الإسلامي في مناقشة مفهوم التسامح؟ أم أنه يندرج ضمن اللا مفكر فيه؟ و اذا كانت الاجابة بنعم فما هي المبادئ التي ارتكز عليها ولماذا؟ وما هي طبيعة العلاقة مع الآخر؟ وهل كان للتسامح كقيمة انسانية حضور في هذه العلاقة أم لا؟ ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات، توقفنا عند مفهوم التسامح والجذور التي نشأ عنها. ثم عرضنا لرؤى من الفكر العربي الحديث تجاه التسامح شملت؛ جمال الدين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأفغاني، ومحمد عبده، ممثلين للاتجاه الإسلامي، ومواقف أخرى ذات طابع علماني مثلها كل من؛أديب اسحق وفرح انطون .وفي الأخير عرضنا لرؤية د. محمد الجابري من الفكر العربي المعاصر.

أولا: مفهوم التسامح:

عرف التسامح في اللغة بأنه "التساهل؛ وهو سلوك شخص له القدرة على تحمل الرأي الآخر دون اعتراض والصبر على أشياء لا يحبها ولا يرغب فيها كونها تتناقض مع منظومته الفكرية والأخلاقية ويقال تسامح في حقه أي احتمل انتقاصه.. والسماح في الرأي هو الموافقة على إعلانه وإن كان معارضا.. والسماحة في السياسة هي اللين، وهي بذل مالا يجب تفضلاً، والمسامحة المساهلة، وكثر السماح وترك ما يجب تنزهاً "[1]. وعرض "لالاند" في معجمه الفلسفي لأكثر من معنى للتسامح، وإن كانت في مجملها تدور حول رفض التعصب بأنواعه وعدم الانحياز لأي فكر أو معتقد أو مبدأ أو شخص ومن ثم الإمتناع عن ممارسة العنف ضد الآخرين: فالتسامح كما رآه يختلف عن معنى اللامبالاة أو الشعور بالشفقة تجاه الآخر لأن في ذلك نوع من الإزدراء ." حين نقول لشخص ما أننا نتسامح فيما يفكر به، فهذا يبدو كأنه يعني: "إن ما يفكر به لا قيمة له، لكنني أوافق على إغماض عيني "[2] . ومن ثم لا يعد ذلك–حسب رأيه -نوعا من التسامح وإنما تعبير عن الإحترام الذي يشير الى خصال المحبة، بينما التسامح يجب أن يعبر عن معنى العدالة ولا يأتي بمعنى التنازل لشخص أو مجاملته كتعبير عن التهذيب أو اللياقة. "..إن ذلك الذي يكون" متسامحا" وهو ضعيف إنما يخشى منه أن يغدو متعصبا اذا تزايدت قوته."[3] . أيضاً من معاني التسامح التي أشار اليها".. بأنه احتمال الشخص لأذى يصيب حقوقه الدقيقة دون إعتراض .بينما في إمكانه رد هذا الأذى ..وبأنه استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه ..وبأنه إحترام ودي لآراء الآخر .."[4].

---

(1) د. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٠م، ص ١٩٣.

(2) أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات-بيروت المجلد الثالث، طبعة٢٠٠١م، ص:١٤٦٣

(3) المرجع السابق، ص:١٤٦٢

(4) المرجع السابق، ص :١٤٦٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضا لا يعني التسامح –حسب "لالاند"-تقبل الظلم الاجتماعي، أوترك المـرء لمعتقـده أو التهاون بشأنه، وإنما أن يبقى المرء حراً في التمسك بمعتقداته وإعطاء الآخر الحـق فـي ذلك. "... لا تقوم فكرة التسامح على التخلي عن قناعات المرء أو الإمتناع عن إظهارهـا والدفاع عنها أو نشرها بل تقوم على إمتناعه عن استعمال جميع الوسائل العنيفة، والقدح، والذم؛ بكلمة يقوم التسامح على تقديم أفكاره، دون السعي لفرضها .."[٥]

ويحمل التسامح بهذا معنى الإعتراف بالأخر واحترام حقوقه الأساسية وحريته في الإعتقاد والتفكير، والإقرار بأن المعرفة والحقيقة أمور نسبية وبأنها ليست حكراً على طـرف دون آخر . وبأن الإختلاف والتنوع الثقافي سمة طبيعية بين البـشر فهـم مختلفـين بطـبعهم ومظهرهم وسلوكهم وقيمهم .والتسليم بذلك سوف يحقق نوعا من الشعور بالـسلام تجـاه الذات، ينتفي معه العنف والإستهزاء بحق الآخر أو بوجهة نظره، ويشعر الجميـع بحـق الحياة بسلام . "التسامح هو فكرة أخلاقية ذات بعـد سياسـي وفكـري إزاء المعتقـدات والأفعال والممارسات ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح، أي التعصب والعنف ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة " [٦] ومن ثم فإن التسامح لا يعني المجاملة أو التهذيب أو التغاضي أو التساهل مع الآخر أو العفو عنه عند المقدرة، وإنما يعبر عـن قيمـة إنـسانية سـامية تؤسس لأخلاقيات التعايش مع الآخر المختلف، حيث العدالة والحرية والمساواة.

ثانياً: نشأة مصطلح التسامح:

أفضى التعصب المذهبي الذي نشأ عن حركات الإصلاح الـديني فـي اوروبـا –القـرن السادس عشر والسابع عشر- الى حروب وصراعات دينية بـين الطوائـف المـسيحية- كاثوليك وبروتستانت- ولم يهدأ العنف بينها لفترة طويلة مما دفع عدد من المفكرين إلـى التساؤل حول البعد الأخلاقي للإضطهاد الديني، و البحث عن خلاص من العنف والآثـار المدمرة التي أنتجتها تلك الصراعات، فقدمت أفكار ونقاشات حول أهمية التسامح الـديني، الذي اقترن بتأويل النصوص وفهمها. و مثل التسامح في تلك الفترة دعـوة إلـى التـآلف والصبر والرحمة والإحسان بين الطوائف المسيحية، ونـشر المحبـة بوصـفها جـوهر المسيحية . و الاستشهاد بالوصايا التي جاءت على لسان بعض الآباء المسيحيين -حقبـة الأباء – في ربطهم الدين بالحرية ورفضهم للاضطهاد الديني ." الدين هو الشيء الوحيـد

---

(5) المرجع السابق، ص١٤٦١ .

(6) د. عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي " الثقافة والدولة "، دار النهـار، بيـروت، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٥م ص: ٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي اختارته الحرية مقرا لها، إنه أكثر الأمور ارتهانا للإرادة ويستحيل إكراه أحد على عبادة مالا يريد "[٧] . وطالب الأب "طرطليانس"** بالحرية الدينية بحجة أن الدين مسألة ضمير وحرية إرادة. " احذروا أن ترتكبوا جريمة الجحود بسلبكم الناس حرية التدين ومنعهم من اختيار ألهتهم، أي عدم السماح لي بإجلال من أريد إجلاله، فما من يرتضي إكراما قسريا ولا حتى الإنسان."[٨]

ومع بروز النزعة الإنسانية التي أعلت من شأن العقل في مواجهة اللاهوت، وتطور الفكر الليبرالي– عصر التنوير الأوروبي – اكتسب مفهوم التسامح، أبعادا شمولية تجاوزت المجال الديني لتطال مجالات أخرى في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية . ومن المفكرين الذين أسهموا في إثراء فكرة التسامح آنذاك: "جون لوك"* الذي انصب إهتمامه على التسامح الديني. "لا يستطيع أي إنسان مهما كانت وظيفته الدينية أن يحرم إنساناً آخر من حريته أو خيراته الدنيوية بسبب الإختلاف بينهما في الدين .فذلك ليس مباحاً للكنيسة ولا لأي عضوا من أعضائها "[٩]. وذهب الى أن الإضطهاد القائم بين الطوائف المسيحية، مخالف تماما لمجد الله ولطهارة الكنيسة، ولا يكفي رجال الدين الامتناع عن العنف تجاه المخالفين لهم، وإنما عليهم التذكير بالتزامات السلام والإرادة الخيرة تجاه البشر؛ سواء كانوا ضالين أو مستقيمين أو مخالفين في الإيمان والعبادة، وأن يحثوا على المحبة والتسامح. "الدين الحق ينظم حياة البشر استنادا الى قواعد الفضيلة والتقوى، ولا يكون صحيحا بدون العمل الصالح والمحبة . هؤلاء الذين يضطهدون الآخرين باسم المسيح، ينكرون تعاليمه ويبحثون فقط عن الطقوس الخارجية بعيدا عن السلام والقداسة."[١٠].

---

(7) جوزيف لوكلير، ت: د.جورج سليمان، مراجعة: سميرة ريشا، تاريخ التسامح في عصر الإصلاح، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الاولى٢٠٠٩م، ص:٦٦

(**) طرطليانس، أحد أباء الكنيسة، احتل مكانا مرموقا في تاريخ علم اللاهوت، بدأ نشاطه الأدبي عام ١٩٧م.أسهم في تكوين اللغة اللاهوتية اللاتينية، تتألف اعماله من مقالات دفاعية وجدلية وأخلاقية .

(8) المرجع السابق، ص:٦٤

(*) John Locke(١٦٣٢-١٧٠٤م)، فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي انجليزي، ، وضع نظرية للعقد الاجتماعي، من مؤلفاته : "رسائل في التسامح "١٦٦٧م - ١٦٨٩م، وله "رسالتين في الحكومة ١٦٩٠م"، مقال" في الفهم البشري"، وبعض الأفكار عن التربية.

(9) فريال حسن خليفة، الفلسفة والتسامح والبيئة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦م، ص ٦١

(10)Paul Edwards، The Encyclopedia Philosophy ،volume three ،Macmillan Publishing Co., Jnc. & the Free Press New York. p: 501

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويقتضي التسامح في رأيه الفصل بين الدولة والكنيسة. فليس من حق أحد أن يقتحم الحقوق المدنية باسم الدين. "ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما. واذا لم نفعل هذا فلن تكون هناك نهاية للخلافات التي ستنشأ على الدوام من جهة بين من يملكون الإهتمام بصالح نفوس البشر، ومن يهتمون بمصالح الدولة من جهة أخرى."[١١]

وفي نفس الفترة تقريباً دعا " سبنيوزا" ** الى الحريات الفردية باعتبارها حق طبيعي للفرد، ولا يحق للسلطات العامة التدخل فيها، لأن تدخلها سوف يسهم في انتشار الفتن، ويؤثر على المجتمع واستقراره. "من الواضح أن الحرية العامة لا تقبل مطلقاً أن تُملأ عقول الناس بالتعصب والتحامل، أو توجه أحكامهم وجهه محددة، أو يستخدم أي من أسلحة الفتنة على ذرائع دينية، والواقع أن هذه الفتن لا تستيقظ إلا عندما يزج القانون بنفسه في ميدان التفكير النظري، وتحاكم الآراء وتدان كأنها جرائم، على حين أن من يدافعون عنها ويتبعونها يضحى بهم لا في سبيل أمن المجتمع، بل في سبيل حق خصومهم وقسوتهم. " [١٢] .وقد أكد " سبينوزا "على رفض التعصب للرأي والمعتقد ورفض الطائفية، وعلى أهمية الدولة المدنية. "لا احتكار للفكر ولا حكر عليه.. حرية الرأي يجب أن تكون مكفولة للمواطنين جميعا، وتكون الدولة هي الراعية لهذه الحرية، وليست القاضية عليها. فلا ينبغي أن تكون الدولة طائفية تنتسب لدين معين، بل دولة علمانية تكفل حرية الرأي للجميع."[١٣] لأن الدولة اذا تبنت أيديولوجية قمعية أو سمحت بنمو ايديولوجية بعينها، سوف تساهم في تدمير نفسها. "الدولة التي تأمل ضمان استقرارها لابد أن تسمح لأفرادها بقدر عظيم من حرية الفكر وحرية التعبير عن الذات."[١٤]. وشارك "فولتير" * فلاسفة عصر

---

(11) جون لوك، ت:منى أبو سنة، رسالة في التسامح، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة- القاهرة، الطبعة الاولى ١٩٩٧م، ص:٢٣

(**)Baruch Spinoza (١٦٣٢-١٦٧٧م) فيلسوف هولندي، من مؤلفاته: اللاهوت والسياسة، مبادئ الفلسفة الديكارتية، رسالة في تهذيب العقل، الأخلاق.

(12) فؤاد زكريا، سبنيوزا، دار التنوير، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٨١م، ص ٢٢٥

(13) سبينوزا، ترجمة وتقديم: د.حسن حنفي، مراجعة :د.فؤاد زكريا، رسالة في اللاهوت والسياسة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى، ٢٠٠٥م، ص:١٧.

(14) Etienne Balibar, Spinoza and Politics, translated by Peter Snowdon, Verso, London, 1998. p: 25

(*) (١٦٩٤-١٧٧٨م) فرانسوا ماري اروبه، عرف باسم فولتيرVoltaire، فيلسوف فرنسي كاثوليكي وكاتب مسرحي، من مؤلفاته؛"مقبرة التعصب، ١٧٣٦م"، "رسالة في التسامح عام١٧٦٣م"، "الرسائل الفلسفية١٧٣٤م، القاموس الفلسفي١٧٦٤م، ملحمة "الهنريادة١٧٢٣م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التنوير في إثراء مفهوم التسامح، وتركزت رؤاه حول مفهوم القانون الطبيعي وحقوق الإنسان، وكان شعاره مواجهة التعصب الذي ساد اوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والمطالبة بحرية التفكير. واشتهر بمقولته : إنني لا أتفق معك فيما تقوله، ولكنني سوف أدافع حتى الموت عن حقك فيما تقول ." أليس من القسوة أن يضطهد في هذه الحياة القصيرة هؤلاء الذين لا يفكرون بالطريقة التي نفكر بها، ولكنني لا أدري أجرأة أم وقاحة بالغة أن نجاهر بإدانتها إدانة أبدية ..."[١٥] . وفي نقده للتعصب الفكري يقول : " إن المتعصبين هم الذين يقضون بإعدام الذين لا جرم لهم سوى أنهم لا يفكرون مثلهم .وعندما يفسد التعصب العقول، فإن المرض يكاد يكون غير قابل للشفاء.."[١٦].ورأى أن مصلحة المجتمع المادية والمعنوية تستدعي تقبل التسامح، لأن التعصب عمم المذابح على وجه الأرض بصورة عبثية ."..أنتم تعلمون جيدا أن التعصب لا يولد إلا المنافقين أو المتمردين؛ فياله من خيار وخيم .وهل تبغون في النهاية اللجوء الى جلادين لدعم ديانة إله فتك به الجلادون، إله لم يدع إلا إلى الرفق والصبر؟."[١٧].وتقترب رؤى "فولتير" من المعنى المعاصر للتسامح، الذي تضمن المعنى القانوني والحقوقي .حيث ساهمت ملامح الحداثة – القرن التاسع عشر- في أن يأخذ مفهوم التسامح بعدا آخر ارتبط فيه بمفهوم الحرية والمساواة نتيجة للظروف الثقافية والسياسية التي تكللت بظهور دولة القانون والمجتمع المدني. ورأى "فولتير" أنه لا القوانين ولا الدين يمكنهما مكافحة التعصب الذي يصيب النفوس، و لا علاج له سوى الروح الفلسفية التي يسهم انتشارها في تهذيب أخلاق البشر" إن الروح الفلسفية تضفي على النفس السكينة أما التعصب فعلى العكس من ذلك ضد السكينة .والتسامح هو قوام الإنسانية لأننا كلنا خطاؤون وهذا أول قانون للطبيعة.. الشقاق هو أكبر شر يصيب الجنس البشري والتسامح دواؤه."[١٨] .

---

(15) د. عبد الحسين شعبان، مرجع سابق، ص :٤٧

(16) د. على بن حسين المحجوبي، حقوق الإنسان بين النظرية والواقع " مقارنة تاريخية " مجلة عالم الفكر، المجلد (٣١) المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب- الكويت، عام ٢٠٠٣م، ص:١٥

(17) فولتير، ت: هنرييت عبودي، في التسامح، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، الطبعة الاولى، ٢٠٠٩م، ص:٨٥

(18) د. حسن حنفي، تعصب /تسامح، (مقالة في كتاب :أضواء على التعصب، لمجموعة مؤلفين :من اديب اسحق والافغاني.. الى ناصيف نصار"، دار أمواج للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ص:١٧٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووجدت مساهمات أخرى وسعت من استعمال مفهوم التسامح في الحياة، عند "جون ستيورات مل " * الذي تحدث عن الحرية Liberty المدنية والاجتماعية وأكد على الحرية الفردية، بشرط أن لا تتعارض مع حرية الآخرين، أو تلحق الضرر بهم. "تكون حرية الفرد مطلقة في الجزء المرتبط باستقلاليته، كفرد مسؤول عن نفسه وعن جسده وعن ذهنه. والجزء الوحيد من السلوك لأي شخص، و القابل لتعديل المجتمع هو ذلك الذي يخص الآخرين ."[١٩].وأكد على حرية الرأي، وأن مسألة فائدة رأي وخطأ غيره هي بذاتها مسألة رأي ولا وجود لحكم للأراء معصوم من الخطأ، وإنما هناك أغراض إنسانية مختلفة. وقد أثبت التاريخ خطأ بعض أراء العصور السابقة . لذلك من الصعوبة الجزم بأن الرأي الذي نحاول قمعه هو رأي خاطئ .والمجتمع لا يكون حرا مهما كانت حكومته إلا اذا وجدت فيه حرية المعتقد وحرية الفكر والتعبير وحرية الأذواق و المساعي. "ما من مجتمع حر بشكل تام، إلا اذا وجدت فيه (هذه الحريات) مطلقة وغير مشروطة.. طالما كنا لا نحاول أن نحرم الآخرين من حقوقهم أو أن نعرقل جهودهم في الحصول عليها"[٢٠]. ورأى أهمية وجود حدود للسلطة التي تمارس على الفرد من قبل المجتمع، يقول: "..إن الحماية من طغيان الملك أو الحاكم ليس بالشيء الكافي؛هناك حاجة للحماية أيضا من طغيان الرأي والشعور السائدين من نزعة المجتمع نحو فرض أفكاره وممارساته الخاصة، وبوسائل غير العقوبات المدنية، على أنها قواعد سلوك.. وتجبر جميع أشخاصه على أن يكيفوا أنفسهم حسب نموذجه الخاص."[٢١]. ورأى "مل" أن وجود التسامح يمتنع معه الإعتقاد بحقيقة مطلقة "إن الحرية الدينية تكاد لا تمارس إلا حيث توجد اللامبالاة الدينية التي تنبذ إزعاج سلامها بالمنازعات اللاهوتية . وحتى من البلدان المتسامحة ثمة تحفظات على التسامح لدى معظم المتدينين فالإنسان قد يحتمل الإنشقاق إزاء أسلوب الكنيسة، ولكنه لا يحتمل التسامح إزاء الدوجما** ."[٢٢]

(*) Mill John Stuart (١٨٠٦ - ١٨٧٣م) فيلسوف تجريبي واقتصادي بريطاني، اهتم بفلسفة السياسة والأخلاقيات، وبرز في المنطق ومناهج البحث العلمي. من مؤلفاته: عن الحرية ١٨٥٩م، في التمثيل النيابي، تحليل العقل الانساني، مبادئ الاقتصاد السياسي، اسس الليبرالية السياسية، استعباد النساء.

(19) Alburey Castell, An Introduction To Modern Philosophy "Examining The Human Condition, Fourth Edition, Macmillan Publishing Co., Inc, New York, 1983, p: 370

(20) ستيوارت مل، ت: د. هيثم، كامل الذبيدي، عن الحرية، منتدى مكتبة الاسكندرية، ص:١٩

(21) المرجع السابق، ص:٩

(**) Dogmatism، تعني الإعتقاد الجازم واليقين المطلق دون استناد الى براهين يقينية، وإنكار الآخر باعتباره على باطل. ولا تشير الى مذهب فلسفي أو ديني، وإنما طريقة في التفكير تدعي إمتلاك الحقيقة باعتبارها الحق الذي لا يحتمل الخطأ، وغير قابلة للنقاش وتتسم بالثبات المطلق. وهي نقيض للعقل النقدي.

(22) د. مراد وهبة، ملاك الحقيقة المطلقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٩م، ص ٣٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا كان مفكري عصر التنوير الغربي قد نادوا بأهمية التسامح، ‘لا أنهم في الوقت ذاته وضعوا له حدودا، عندما يتعلق الأمر بالقضايا السياسية والوطنية، فقد استثنى "لوك" من التسامح كل من لا يطيع الدولة القومية، مثل أتباع المذهب الكاثوليكي لأنهم يطيعون البابا في روما، و الملحدون لخطورتهم على المجتمع والدولة . "إن الحاكم عليه الا يتسامح مع الآراء المضادة للمجتمع الانساني، أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني.."[٢٣]. ورأى "فولتير" أن على كل مواطن أن لا يصدق إلا ما يمليه عليه عقله، لأن الدين لا يفرض بالقوة وليس مما يؤمر به . ولكن عندما يتعلق الأمر بمخالفة قوانين الدولة وسياستها يصبح بالضرورة أن يكون هناك حدودا للتسامح لا ينبغي تجاوزها. " كي لا يكون من حق حكومة من الحكومات أن تعاقب أخطاء البشر يلزم ألا تكون هذه الأخطاء جرائم، وهي لا تغدو جرائم إلا عندما تخل بأمن المجتمع؛ وهي تخل بهذا الأمن عندما تحرض على التعصب الديني، فعلى البشر اذا أن يبدؤا بالتحرر من كل تعصب ديني كيما يستأهلوا معاملتهم بتسامح ."[٢٤] وذهب الى أن الإنسان سلطان ذاته طالما لم يحدث ضررا بالآخر. و في حالة تسبب في ضرر ما، أصبح من حق المجتمع أن يتدخل . وعلى الرغم من نشأت مصطلح التسامح وتعدد أبعاده الإنسانية إلا أن الأمر لم ينته الى أن يصبح المفهوم قاعدة للسلوك الإنساني بشكل عام.

ثالثاً: التسامح في الفكر العربي الحديث:

عايش مفكرو عصر النهضة العربية –نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين - صدمة الحداثة والاستعمار الأوروبي لأجزاء من العالم العربي، الى جانب ضعف الدولة العثمانية وانتشار التعصب و الصراع الديني والمذهبي، وما صاحب ذلك من تخلف وجمود في العقل العربي. فهل دفعت مثل هذه الظروف الى مناقشة مفهوم التسامح. انطلاقا من هذه المعطيات، اتخذ مفكرو عصر النهضة العربية مواقف فكرية متباينة تجاه العلاقة مع الآخر سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو الديني. اختلفت باختلاف اتجاهاتهم الفكرية بين القبول والرفض، و بدلالات متنوعه .

---

(23) جون لوك، رسالة في التسامح، ص:٥٥
(24) فولتير، رسالة في التسامح، ص:١٤٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١- جمال الدين الأفغاني*

وقف "جمال الدين الأفغاني" ضد الأفكار التي تدعو الى القومية و إطلاق الحرية الدينية والفردية- بحسب مدلولها الليبرالي- كونها تهدف الى النيل من وحدة الأمة وترسيخ السيطرة الإستعمارية. يقول" الأضاليل التي بثها هذان الدهريان" فولتير وروسو" هي التي أضرمت نار الثورة الفرنسية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك بين أبناء الأمة وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت المذاهب.. وذهب كل فريق يطلب غاية لا يرى وراءها غاية"[٢٥]. لذلك دعا إلى رفع شعار التعصب والدفاع عنه. فهل نظر للتعصب كنقيض للتسامح أم أن له تصور آخر؟

جاءت رؤية "الأفغاني " للتعصب من منطلق مختلف تماما هو العصبة، وقصد بها رابطة النسب والإجتماع في الأصل والموطن، بها يلتحم الأفراد أو الأمة، ويناصرون بعضهم البعض ويدافعون عن حقوقهم ويحمونها. "التعصب وصف للنفس الإنسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه، ووجوه الإتصال تابعة لإحكام النفس في معلوماتها ومعارفها "[٢٦] . ثم توسع بعد ذلك في معناه ليشمل المنتمين الى دين واحد والتحامهم لنصرة بعضهم البعض ."الأمة المؤلفة من أفراد يختلفون في المشارب، وتربطهم روابط الجنس، وتلحمهم وحدة اللغة والأصل والموطن، ويطيعون شريعة واحدة لا تفرق بين الكبير والصغير، وتحكمهم سياسة واحدة، وحكومة واحدة، هذه الأمة تكون رمزا لسعادة الفرد الواحد، الذي يتألف هو نفسه من عناصر عدة تجمع بينها قوة الجذب المشترك، كما يتألف من أعضاء شتى مختلفة الأشكال في بنيتها العامة، توحد بينها قوة روح محركة واحدة."[٢٧]. والعصبة بهذا المعنى، هي أساس الترابط بين الشعوب، وبها تحفظ وحدة المجتمع وتتفكك وتفشل بدونه . "و يستعيد الأفغاني العصبة عند "ابن خلدون " بمعنى الترابط الاجتماعي بالإضافة إلى الأخوة في الدين "[٢٨] .

(*) جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧م)، رائد الحركة الإسلامية الإصلاحية الحديثة، تميز بقوة الشخصية وعرف العديد من اللغات أنشأ جريدة العروة الوثقى في باريس، بالتعاون مع الشيخ محمد عبده، تنوعت أعماله بين الرسائل والمحاضرات والمقالات ومن أشهر رسائله "الرد على الدهريين" ومقال عن "التعصب ".

(25) د. عاطف العراقي، الفلسفة العربية، مدخل نقدى، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان. الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م، ص:٢٤٥

(26) الأفغاني، عن "التعصب" (مقال في كتاب :أضواء على التعصب)لمجموعة مؤلفين" من أديب اسحق والآفغاني..الى ناصيف نصار"، دارأمواج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م، ص:٢٨.

(27) جمال الدين الأفغاني، تحقيق وتقديم: على شلش، سلسلة الأعمال المجهولة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧م، ص:٣٢

(28) حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص: ١٦٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويشترط الأفغاني في التعصب الإعتدال في مناصرة القريب في الأصل أو في الدين. "تعصب المشتركين في الدين المتوافقين في أصول العقائد، بعضهم لبعض اذا وقف عند الإعتدال، ولم يدفع الى الجور في المعاملة ولا إنتهاك لحرمة المخالف لهم أو نقص لذمته، فهو فضيلة من أجل الفضائل الإنسانية وأوفرها نفعا وأجزلها فائدة، بل هو أقدس رابطة وأعلاها اذا استحكمت صعدت بذوي المكانة فيها الى أوج السيادة وذروة المجد، خصوصا إن كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين ..كما في أهل الديانة الاسلامية.." [٢٩]. وذهب الى أن التعصب فضيلة بين رذيلتين، هما الإفراط والتفريط. "التعصب له حد الإعتدال والتفريط، إعتداله كمال وتفريطه نقص ".[٣٠] وكل تعصب لا يخضع لمبدأ الإعتدال ينقلب إلى تعصب أعمى؛ يكون التفريط بضعف الشعور بالترابط بين أبناء الأمة وتفككها. "التفريط هو إهمال ما يدعو اليه من التعاون والتناصر على حفظ حقوقهم والدفاع عنهم الذي يفضي الى اضمحلال الأمة لعدوان غيرها عليها. ".[٣١] أما الإفراط؛ فهو خروج عن حدود الإعتدال والمبالغة في الحرص على حقوق الجماعة ومنزلتها بين الجماعات، مما يوقعها في الجور والإعتداء على الآخر. ويستدل في ذلك بما حدث في اوروبا تجاه المذاهب المخالفة للتأويل الكاثوليكي، وقبله ما حدث لليهود من قبل المسيحيين، وما آلت إليه الحروب الصليبية *، وما فعله الأسبان بمسلمي الأندلس...الخ. " المفرط في تعصبه يدافع عن الملتحم به بحق وبغير حق، ويرى عصبته منفردة باستحقاق الكرامة، وينظر الى الأجنبي عنه كما ينظر الى المهمل، لا يعترف لله بحق ولا يراعي له ذمة، فيخرج بذلك عن جادة العدل. فتنقلب منفعة التعصب الى مضرة، ويذهب بهاء الأمة، بل يتقوض مجدها. فإن العدل قوام الإجتماع الإنساني، وبه حياة الأمم، وكل قوة لا تخضع للعدل فمصيرها الى الزوال، وهذا الحد من الإفراط في التعصب هو الممقوت على لسان الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله: "ليس منا من دعا الى عصبة"[32] . ثم يستدرك بقوله إن

---

(29) الأفغاني "عن التعصب"، مرجع سابق، ص:٣٠-٣١

(30) د. حسن حنفي، ، ص:١٦٩

(31) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول، القسم الأول، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الثانية، عام ٢٠٠٦م، ص:٣٢٣

(*) (١٠٩٦-١٢٩١م) يقصد بها مجموعة الحملات التي قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر، وكانت عبارة صراعات عسكرية ذات طابع ديني، وتحت شعار الصليب من أجل الدفاع عنه، وذلك بغرض تحقيق السيطرة على الأراضي المقدسة التي كانت تحت سيطرة المسلمين. وقد أطلقت الحملات بدعوة من الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية لمساعدتهم ضد توسع المسلمين السلاجقة في الأناضول. ورأى فيها المسلمين حروب استعمارية دموية اقصائية وانتهازية.

(32) الأفغاني، "عن التعصب"، مرجع سابق، ص:٣٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عملية الإفراط في التشدد الديني لا تستمر، لأن القائمين على الدين غالبا ما يعودون الى أسس الدين القائمة على الرحمة والعدل. ويبين الجانب الإيجابي للتعصب ودوره في الإعلاء من شأن القيم الأخلاقية؛ كالرحمة والشفقة وتهذيب السلوك.

وينتقد "الأفغاني " كل من يرى في التعصب الديني عائقا أمام المدنية والتطور العلمي والمعرفي. ويستشهد بالدور الذي قام به الدين الإسلامي وكيف سمى بالأمة العربية الى درجات المدنية والحكمة. فالمسلمون في فتوحاتهم كانوا يراعون حرمة الأديان وحق الذمة ولم يكونوا يحتكرون الترقي في المناصب عليهم، حيث سمى في دولتهم الى المراتب العليا كثير من أصحاب الأديان الأخرى . " سحقا لقوم يظنون أن المسلمين بتعصبهم يمنعون مخالفيهم من حقوقهم."[٣٣] . كذلك لم يجبر المسلمون أحد على قبول دينهم أو يلزمونه به، وكانوا يأخذون المال ممن لا يقبل به – الجزية- مع مراعاة شروط عادلة. ورأى أن نهضة المسلمين لن تكون إلا بالإطلاع على علوم الغرب والاستفادة منها؛ ليس بمحاكاتهم، ولكن بأخذهم العلم الذي لا يتناقض مع جوهر الدين . كما أكد على ضرورة الإصلاح الديني، وأهمية الاجتهاد في الرأي، وتطبيق مبادئ القرآن الكريم، والبعد عن تقليد القدماء والمحدثين .يقول: " باب الاجتهاد مفتوح ولم يغلق باب الاجتهاد لا نصاً ولا عقلاً ولا واقعاً "[٣٤]

ورأى الأفغاني أن الأسباب الكامنة وراء انحطاط المسلمين ترجع الى شيوع الإفراط في التعصب والاستبداد السياسي. يقول:" فلا نجد لتأخرنا غير سببين أصليين، وهما التعصب والاستبداد."[٣٥] التعصب نتج عن سؤ استعمال الدين، فبدلا عن إتباع الحق والحث على الفضائل والنهي عن المنكر، استعملوا الشرائع في الشقاق والنفاق واضرام الفتن. أما الاستبداد، فيكون بتقييد الأمة وتسييرها برأي وإرادة واحد من الناس، لغياب قيم العدل والشورى وعدم تقييد سلطات الحكومة بدستور.

وينتهى الأفغاني الى وصية المسلمين بقوله :"..العدل أساس الكون وبه قوامه، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم، وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم أو معرفة الحقوق لأربابها وحسن المعاملة واحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم من أرباب الأديان المختلفة، فإن مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم، كما لا تقوم

---

(33) المرجع السابق، ص:٣٣

(34) د. حسن حنفي، جمال الدين الأفغاني، ص ١٢٧

(35) جمال الدين الأفغاني، سلسلة الاعمال المجهولة، ص:٨٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مصالحهم إلا بمصالحكم، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان وذريعة لإنتهاك الحقوق، فان دينكم ينهاكم عن ذلك ..هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض، بل تضافروا بها على مباراة الأمم في القوة والمنفعة والشوكة والسلطان. ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الإنسانية. اجعلوا عصبيتكم سبيلا لتوحيد كلمتكم واجتماع شملكم .."[٣٦] .

وهكذا، يشيد الأفغاني بالتسامح بين أفراد الأمة الإسلامية، ويحث على التعامل مع المخالف في الدين من باب العدل، ويقصد به القانون. أما التسامح مع الآخر، فهو خارج عن الإطار الطبيعي للحياة الإنسانية -حسب رأيه – لأنه لا يقتصر على طرف واحد، في ظل الإستغلال والإستعباد، وإنما يقتضي الإعتراف بالآخر وبحقه في الوجود وبكافة حقوقه في الحياة. ورأى أن المثل المسيحي؛" إذا لطمك أحدهم على خدك الأيمن فصعر له خدك الأيسر" لا يشير إلى تسامح الطرف الضعيف وإنما لقلة حيلته أمام الآخر المتسلط ولا يمكن للخضوع أن يكون فضيلة .

٢- الامام محمد عبده*

اتفق "محمد عبده" مع استاذه "جمال الدين الأفغاني" في بداية حياته السياسية على أهمية الثورة كوسيلة لتحقيق نهضة في الشرق و تحرير طاقاته من الجمود و التقليد. وفي وقت لاحق أدرك أن التدرج في عملية الإصلاح عن طريق التربية و بث العلوم النافعة، هو المدخل الرئيسي لإصلاح أوضاع الأمه؛ للخلاص من النفوذ الأجنبي و معرفة المواطنين بحقوقهم وواجباتهم السياسية، وحل مشكلة الصراع بين الطوائف. "اذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، و أحب غيره لأجل أن يحب نفسه".[٣٧] بشرط أن تستند التربية الى مبادئ الدين، و تستجيب الى ظروف العصر و احتياجاته. "كان يتمنى أن يبلغ الانسان من كل دين الى حد أن يجعل التعليم مدنيا خالصا و أن تكون لتعاليم الدين أماكن خاصة بهذا

---

(36) الأفغاني " عن التعصب"، مرجع سابق، ص:٣٨-٣٩

(*) الإمام محمد عبده (١٨٤٩- ١٩٠٥م)، وضع مع جمال الدين الافغاني أسس الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، اهتم بالفقه والسنة والفلسفة والسياسة واللغة. نفي ثلاث سنوات نتيجة لرؤاه السياسية المعارضة، واصدر جريدة العروة الوثقى". بعد عودته عام ١٨٨٨م عين قاضيا في المحاكم الشرعية، وفي عام ١٨٩٩م عين مفتيا للديار المصرية. من مؤلفاته: رسالة التوحيد ١٨٩٧م، شرح" نهج البلاغة" لأمير المؤمنين "على ابن ابي طالب"، شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، الثورة العرابية (لم يتمه)، ترجم رسالة "الرد على الدهريين "لجمال الدين الأفغاني.

(37) محمد عبده، تحقيق و تقديم: د. محمد عماره، الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الاولى، عام ١٩٩٣م، ص: ١٥٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللون. و أن يزول المزج بين النوعين في مدارس التعليم العام..."[٣٨]. و أكد "محمد عبده "على أهمية التجديد الديني و حرية الفكر، و أصالة التسامح في الدين الاسلامي. وذلك ردا منه على "فرح انطون" الذى أشار الى عدم وجود التسامح في الإسلام.

عرض "محمد عبده" لعدد من المحاور التي يدلل من خلالها على رسوخ مبدأ التسامح في التراث الإسلامي، في الوقت الذي نفاه في المسيحية . وقد انطلق من مسلمة أن الدين واحد في الرسالات السماوية. "الدين دين الله و هو واحد في الأولين و الآخرين، لا تختلف إلا صوره و مظاهره، و أما روحه و حقيقته لا تتغير : إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة و معاونه الناس بعضهم لبعض في الخير وكف اذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا، هذا لا ينافي الإرتقاء في الدين بإرتقاء عقول البشر و استعدادهم لكمال الهداية..."[٣٩] ويتسم الإسلام بالشمولية لإقراره بالديانات السماوية. ويقوم على تعدد الثقافات، من منطلق أن الوحدة في الإختلاف، قال تعالى : " و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا" (سورة الحجرات، أيه: ١٣) و قوله تعالى: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة" (سورة هود، أية:١١٨). و يعطي محمد عبده فكرة "حوار الأديان" أهمية بالغة في تحقيق السلام العالمي. يعتقد أن إصلاح الأزهر خير وسيلة للتعارف بين الشرق و الغرب وخير صلة بين المدنية القديمة و المدنية الجديدة. يقول:".. لو صلح حال التعليم في الأزهر لهب المسلمون الى طلب العلوم الصحيحة و المدنية العزيزة، كما هبوا الى ذلك من أول نشأتهم فأحيوا ما أماته الزمان من علوم الهنود و اليونان، فلا يجدون أمامهم إلا أوروبا و علومها الحيه، و يفهمونها أنهم خير عون لهم على تكميل مدنيتهم، فيتعارفون ولا يتناكرون، واذا عارضت السياسة تعارفهم، فإنه يسهل عليهم من إزالة معارضتها مع التعارف و العلم، ما لا يسهل عليهم مع التقاطع و الجهل.[٤٠] و أشار الى أن رفض عقائد دين من الأديان، لا يعني الجور على أهل هذا الدين؛ فالله تعالى سوف يحاسب يوم القيامة على التحريفات العقائدية،

---

(38) المرجع السابق، ص: ١٦٣

(39) محمد عبده، الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية، دار الحداثة بيروت، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨٨م، ص:٦٠

(*) شارك في تأسيس جمعية سرية سميت " جمعية التآلف و التقريب"، هدفها التقريب بين الأديان السماوية، و إزالة الخلاف من بين أهلها. و العمل على تعريف الغرب بحقيقة الإسلام و تعريف المسلمين بحقيقة مدنية اوروبا.

(40) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول، القسم الأول، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م. ص:٥٤٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويجب أن تقوم العلاقة مع أصحاب هذه الديانات على العدل و القسط و البر في كافة شؤون الحياة. و يستشهد بكتب المؤرخين و الفلاسفة من المسيحيين، ليدلل على مدى رعاية الإسلام للحكماء من الملل غير المسلمة و احترامه و تقديره لهم[٤١]. وأن ما يصدر من تشدد ديني من بعض المسلمين، لا يعبر عن روح الإسلام السمحة . كما ينفي عن الإسلام فكرة تكفير الآخر أو ممارسة العنف ضده .وبأنها في حالة صدور قول يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد، لا يجوز تكفيره. كما نفى تقاتل المسلمين فيما بينهم من أجل الإعتقاد، كما حدث بين الطوائف المسيحية . وأن ما حدث من حروب بين بعض الطوائف الإسلامية، سببه خلافات سياسية و ليس الإعتقاد الديني. "كان الإختلاف في العقائد على نحو الإختلاف في الفتيا، تخالف أشخاص في النظر والرأي، و كان كل فريق يأخذ على الآخر و لا يبالي بمخالفته له في رأيه.. فلما جاء دور الجمود- دور السياسة- أخذ المخالفون في التنطع و أخذت الصلات تتقطع، و امتازت فرق و تألفت شيع، كل ذلك على خلاف ما يدعو إليه الدين.."[٤٢].

وانتقد "محمد عبده" السلطة باسم الدين و نزه الإسلام منها، ورفض وجودها في المجتمع. "لم يدع الإسلام لأحد بعد الله و رسوله سلطانا على عقيدة أحد، ولا سيطرة على إيمانه. على أن الرسول عليه السلام كان مبلغا و مذكرا لا مهيمنا ولا مسيطرا، قال تعالى: " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر". ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل أو يربط لا في الأرض ولا في السماء"[٤٣].ولا يحق لأي كان من علماء الدين مهما علت سلطته أن يدعي حق السيطرة على إيمان الآخر، وليس عليه سوى حق النصيحة والإرشاد." ليس في الإسلام من سلطه دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير من الشر"[٤٤].

كذلك الحاكم عند المسلمين ليس معصوما من الخطأ، وسلطته إدارية وليست دينية. "..فهو حاكم مدني من جميع الوجوه."[٤٥] ودعا الى مدنية السلطة وتقييد سلطات الحكومة بدستور، يتساوى فيه المواطنون في الحقوق وإن اختلفت معتقداتهم. " لقد امتازت فتاوى الأستاذ

---

(41) محمد عبده، الإسلام و النصرانية مع العلم و المدنية، انظر ص:(٢٠ الى ٢٦)
(42) المرجع السابق، ص:١٤٢-١٤٣
(43) المرجع السابق، ص:٧٥
(44) المرجع السابق، ص:٨١
(45) المرجع السابق، ص:٨٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإمام بالميل إلى التسامح، واستقلال الرأي والبعد عن التقليد والملائمة بين روح الإسلام ومطالب المدنية الحديثة "[٤٦]. وبذلك ينفي القول بأن السلطة المدنية في الإسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع. مما يعيق المدنية وفرص التسامح مع الآخر.

ونتبين مما سبق حضور معان تشير الى التساهل في اكتساب علوم الآخرين والتعامل معهم، وفتح باب الإجتهاد في الرأي-التأويل- بما يتفق مع متطلبات العصر، وقبول الكيفيات المغايرة في التفكير والسلوك دون المصادقة عليها، بغض الطرف عنها كي نستطيع العيش الى جانبها. ولم يحفل هؤلاء بالأبعاد النظرية المؤسسة للمفهوم في سياق تطوره التاريخي واكتفوا بالقول إن الإسلام لا يتعارض في روحه ونصه مع مفهوم التسامح بل يدعو اليه ويحث عليه.

فهل كان للتسامح حضور عند المفكرين العرب الذين غلب عليهم التوجه القومي العلماني في دعوتهم الى التحديث والنهضة؟

٣-أديب أسحق**

انتقد "اديب اسحق" التعصب ودعا الى ضرورة احياء مفهوم التسامح، نظرا لما عاصره من صراعات ومذابح بين الطوائف المختلفة في لبنان . وفي تعريفه للتعصب أشار الى أن أهل اللغة قد عرفوا التعصب بمعنى الغلو في الدين والرأي، الى حد التحامل على من يخالفهما . واستعمل "اسحق" لفظ تسامح بمعنى تساهل وقصد به الإعتدال في المذهب والمعتقد الذى يحقق الخير العام والإستقرار للشعوب .وقد اتفق "اديب اسحق" مع فلاسفة التنوير الاوربي في المعنى الذي عرضوه لكل من التعصب والتسامح، ويصفهم بأهل الحكمة العصرية. "فالتعصب هو "غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي حتى يحمله الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بالقوة ومنعهم من إظهار ما يعتقدون ذهابا مع الهوى في إدعاء الكمال لنفسه وإثبات

---

(46) د. عثمان أمين ،رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، عام ٢٠٠١م، ص ٦٨- ٦٩

(**) اديب اسحق(١٨٥٦-١٨٨٥م)؛ اديب وصحفي وشاعر سوري، ، تعرف على جمال الدين الأفغاني وتأثر بمواقفه الجريئة، أصدر جريدة "مصر" عام ١٨٧٧م، في القاهرة .ثم اصدر بالمشاركة مع سليم النقاش جريدة "التجارة، "، غادر الى باريس عام ١٨٨٠م، حيث أصدر جريدة "مصر القاهرة"، ولقب "نابغة الشرق"، من مؤلفاته: تراجم مصر في هذا العصر، الأعمال السياسية والاجتماعية، الدرر، مقال عن "التعصب والتساهل".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النقص لمخالفيه من سائر الخلق."[٤٧]. وأشار" اسحق " الى أن التعصب موجود في تاريخ كل الأجيال البشرية وبأنه لم يخل من الحروب والصراعات الدينية والفتن . وله وجود في جميع ميادين العلم والمعرفة . وعلى الرغم من قدم وجوده إلا انه حادث طارئ على الإنسان، تولد عن مفاسد الرئاسة في الجماعات والاحكام التي وضعوها كي يحافظوا من خلالها على ثرواتهم وقوتهم. ومع الوقت تأصل التعصب في عادات الناس وتقاليدهم حتى أصبح من ملكات النفوس. يقول "اديب اسحق" : " .. اجتمعت أراء المفكرين على أن الرئاسة قد حصلت بدأة بدء للمتمولين أو الأقوياء. وفي الحالين لم يأمن الرؤساء على سطوتهم أن تزول بفقد الثروة أو انحطاط القوة، فالتمس النبهاء منهم تأييدها بما لا يؤثر فيه النوازل ولا يضعفه كرر الأيام، فوضعوا للجماعات أحكاما، كل رئيس وماتوهم فيه المصلحة، أو ما رأى ميل قومه اليه. فرضي كل الناس مشربهم، وقالوا هذا هو الحق الذي لاريب فيه. وقال غيرهم من الأقوام، بل الحق مانحن عليه فأنتم في ظلال مبين، فوقعت بينهم الإحن، وشبت أعقابهم على العدوان، حتى قويت روابط الأوهام، فتقطعت صلات الأرحام، فصار من الفضيلة أن يقتل الانسان أخاه إن خالفه فيما يراه، وامتلأت رؤوس الخلق عنادا، فملؤا الأرض فسادا، فعدت المظالم عدلا وسميت المذابح جهادا."[٤٨]. وقد عرف "اديب اسحق " التساهل بأنه "..رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كائنا ما كان، رجوعا الى معاملة الناس بما يريد أن يعاملوه. وعلى رغبته في تطرق رأيه للأذهان، لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون ."[٤٩]. وادراك العقول السليمة لهذا المعنى، سوف يوضح لهم موقف المتعصبين وكيفية عجزهم عن إدراك الكثير من أسرار الوجود ، وعدم استيعابهم أن الكمال ممتنع عن الانسان. وعدم استفادتهم مما آل اليه تعصب السابقين، خاصة ما حدث من تطور وتغيير للآراء والنظريات والحقائق العلمية والمعرفية عبر العصور وما صاحبها من تطورات اختلفت على إثرها معايير الصحة والخطأ. مثال ذلك: التسليم بمركزية الأرض وثباتها والقول بدوران الشمس حولها، وقس على ذلك طب ابقراط وفلسفة ارسطو...الخ، وكيف أن تعصبهم لهذه الآراء، أدى الى قمعهم لمن كان يرتاب فيها . ورغم ذلك يظل العلم في تطور مستمر لا يتوقف .

---

(47) اديب اسحق، الدرر، جمع واختيار :جرجس ميخائيل نحاس، مطبعة جريدة المحروسة، الاسكندرية، عام ١٨٨٦م، ص:٨

(48) المرجع السابق، ص:٩

(49) المرجع السابق، ص:٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويفرق "اسحق "بين وجهين للتساهل؛ تساهل الضعف والقوة، والتساهل النابع عن قناعات ذاتية وعقلانية. الأول: يوجد في الانسان عند العجز عن مجاراة ضده؛ فالضعفاء يطلبونه ويدعون اليه عند حاجتهم، واذا ما صارت لهم القوة والأمر انقلبوا متعصبين ويشهد على ذلك تاريخ العقائد الدينية والطرق السياسية والمذاهب الفلسفية. يقول :"هو كالحرية يشتاقها الانسان مرؤوسا وينكرها رئيسا، وكالزهادة يقبلها سقيما وينبذها معافى سليما. فلا يثبت على تغير الأحوال إلا عند ذوي النفوس الكريمة والطباع القويمة، وماهم بكثر."[٥٠] . والوجه الآخر للتسامح أكد عليه أهل العقل والمعرفة، ورأوا أهمية ربطه بمبدأي الحق والعدل، من خلال التسليم بحرية المعتقد والتسليم بحرية الرأي و نسبية الآراء واختلاف البشر وتنوعهم، مما يحمي الانسان من الجمود العقائدي والتشوش الذهني.

والخلاصة أن رؤية "اديب اسحق" للتسامح تعكس مبادئه التي ترفض الإستبداد السياسي وتقف ضد الإستعمار الخارجي، و تقوم على الحرية والمساواة والإخاء.

٤- فرح أنطون*

دعا "فرح انطون " الى أهمية التسامح في مواجهة التعصب الديني والمذهبي والصراعات الفكرية التي شهدها مطلع القرن التاسع عشر. وذهب الى أنه لم يكن معروفا في التراث الإسلامي، وبأنه من مفرزات قيم الحداثة.

ويتخذ من مصطلح " تساهل " مقابلاً لمفهوم التسامحTolerance الذي استقاه من تصورات فلاسفة عصر التنوير الأوروبي، و يعني به:" السياسة التي يتجمل بها المرء في التعامل مع ما لا يوافق عليه، ويتقبل حضوره، بوصفه أولاً حقا من حقوق الإختلاف، وبوصفه ثانياً ركناً أساسياً من ممارسة الحرية التي ينبني عليها معنى المواطنة في المدنية الحديثة ."[٥١]

---

(50) أديب اسحق، التعصب والتسامح، (مقال في كتاب: أضواء على التعصب، مرجع سابق)، ص:١٨

(*) فرح بن الياس أنطون (١٨٦١- ١٩٢٢م)، مفكر سوري، ورائد من رواد حركة التنوير العربية، أصدر مجلة "الجامعة" وتولى تحرير" صدى الأهرام ". من أبرز مؤلفاته: ابن رشد وفلسفته، الحب حتى الموت، الدين والعلم والمال، اورشليم الجديدة، مريم قبل التوبة، كما ترجم عدد من كتب الأدب العالمي؛ الكوخ الهندي، بولس وفرجيني، نهضة الأسد، أتالا..وقد أثارت كتاباته عدد من رجال الدين المسيحيين والمسلمين الذين انتقدوا فكره واتهموه بالإلحاد والعلمانية.

(51) د. جابر عصفور، النقاش الأول في التسامح والتعصب في الفكر العربي الحديث، (موضوع في مجلة التسامح، العدد (١٢)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان - مسقط، ٢٠٠٥م، ص: ٢٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أشار "فرح انطون" الى أن المعنى الديني للمفهوم؛ يرى في الدين مسألة خاصة بين الفرد وبين الخالق تعالى . والناس جميعهم أخوة في الإنسانية، و للإنسان الحق في كل خيرات الأمة من يوم ولد وليس من يوم إعتناقه لدين ما." فإذا كان الله سبحانه وتعالى يشرق بشمسه في هذه الأرض على الصالحين وعلى الأشرار معا، فيجب على الإنسان أن يتشبه به ولا يضيق على غيره، لكون إعتقاده مخالفاً لمعتقده. فليس إذاً على الإنسان أن يهتم بدين أخيه الإنسان أيَاً كان .لأنه لا يوجد من حيث هو انسان فحسب، بل بعيدا عن صفة الدين التي تقع في دائرة اختيار الانسان، الذي ليس من حق أحد الحجر على حريته." [٥٢] .ورأى أن ذلك يتناقض مع غرض السلطة الدينية لإعتقادها أن الحقيقة في يدها وأن تعاليمها هي الحق الأبدي الذي لاشك فيه، وما عداه كفر وضلال. أيضا لن تقبل الأديان بحق الإنسان في الإعتقاد بما يشاء؛ فالمسلمون يسمون الخارجين عن الأديان" زنادقة" ويجب قتلهم، وأطلق عليهم المسيحيون مصطلح" كفرة" ويجب استئصالهم من بين الناس، كذلك في اليهودية كانوا يحكمون بالقتل على من يعبد ألهة غريبة عنهم، ثم أشار "انطون" الى أن العلم لا يجيز قتل الخارجين عن الأديان. وهنا يحدث تناقض بين توجه العلم وتوجه الدين. "..كل من الدين المسيحي والدين الإسلامي قد أحل قتل الزنادقة أو الخارجين عن الدين، بينما العلم يرى غير ذلك. لأن الحياة التي منحها الله للبشر، لا يجوز لإنسان أن يسلبهم إياها، بأية حجة كانت، وبأي سبب كان."[٥٣] .وفيما يخص الفلاسفة فقد رأى "انطون" بأنهم ينظرون إلى التساهل كفضيلة، بينما رجال الدين وخاصة المتشددين منهم لا يرونه كذلك. وبذلك تصبح الفضيلة نسبية، بينما هي لا تتغير ولا تتبدل بتغير الأزمنة والأمكنة، وكذلك الرذيلة .

وقد ذهب "فرح انطون " الى أن التعصب الديني يفضي بالضرورة الى ممارسة التعصب الفكري، ويستشهد بما عاناه " ابن رشد "[*] وما لحقه من أذى من قبل السلطة السياسية التي

---

(52) فرح انطون، ابن رشد وفلسفته، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٧ م، ص ٢٥٧

(53) المرجع السابق، ص:٢٥٩.

(*) أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد الأندلسي (١١٢٦-١١٩٨م)، فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي، درس الفقه، ودافع عن الفلسفة، وشرح نظريات ارسطو. تعرض في أخر حياته لمحنة اتهامه بالكفر والإلحاد لقوله انه لا تعارض بين الفلسفة والدين في معرفة الحقيقة، وإن اختلفوا في المنهج، وإن وجد تعارض فهو تعارض بين نص ديني وقضية عقلية ويمكن حله بالتأويل، وأكد على فكرة كروية الأرض وقدم نظرية جديدة لحقيقة الكون وتفسير العالم "نظرية اتحاد الكون النموذجي". من مؤلفاته؛ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، فصل المقال، الكليات في الطب، تهافت التهافت، الكشف عن مناهج الأدلة، الضروري في الفقه، الضروري في النحو، الى جانب العديد من المقالات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحالفت آنذاك مع أهل النقل والتقليد، و طاردت الفلسفة والفلاسفة وأحرقت كتبهم، ولم يستثنى من ذلك الإمام الغزالي* .كما سجنت محاكم التفتيش جاليليو**، واحرق "جيوردانو برونو" ***، وقتل كثيرون غيره. وكل ذلك بسبب التعصب والخوف من الجديد. لذلك وجد "انطون "أن تحقيق التساهل بهذا المعنى يستدعي وجود دولة مدنية تفصل بين السلطتين السياسية والدينية، و تحترم الأديان في تنوعها، وبأن رسوخ التمدن في أوروبا يعود الى فصلهم بين السلطتين. ثم أشار الى مبادئ الدولة المدنية التي تؤسس لمفهوم التسامح وهي:

١- اطلاق الفكر الانساني من كل قيد خدمة لمستقبل الإنسانية؛ ويفصل ذلك من خلال توضيحه لغرض كل من الأديان و الحكومات .ورأى أن غرض الأديان واحد على وجه الأرض، هو تعليم الناس عبادة الله تعالى وحثهم على الفضائل واصلاح شؤونهم وإن اختلفت في الطرق والفروع . و غرض الحكومات هو حفظ الأمن بين الناس وحفظ حقوقهم من خلال الدستور. أيضا الحقيقة متغيرة في قاموس الحكومات لارتباطها بالعقل وبتطور العلوم . بينما الحقيقة في الأديان ثابته ومطلقة ."إذا تولت الأديان زمام الحكومات اضطرت بحكم طبيعتها إلى الضغط على الفكر الإنساني، كما كان يحدث في أوربا، وقاومت كل فكر جديد ولذلك حدث في الإسلام والنصرانية ما حدث من اضطهاد العلماء والفلاسفة ."[٥٤]

(*) الإمام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري(١٠٥٨-١١١١م)، كان فقيها وأصوليا وفيلسوفا، أحد مؤسسي المدرسة الأشعرية السنية في علم الكلام، لقب بحجة الإسلام. من مؤلفاته: احياء علوم الدين، مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الإعتقاد، الجام العوام عن علم الكلام، المعارف العقلية ولباب الحكمة الإلهية، فيصل الحكمة بين الإسلام والزندقة، معيار العلم في فن المنطق، تهذيب الأصول، القسطاس المستقيم، أساس القياس، مآخذ الخلاف، منهاج العابدين، منهاج العارفين، مشكاة الأنوار، الرسالة اللدنية ...وغيرها .

(**) Galileo Galilei (١٥٦٤-١٦٤٢م)عالم فلك وفيلسوف وفيزيائي ايطالي كاثوليكي، نشر نظرية كوبر نيكوس، واثبت أن الأرض تتحرك، ودافع عنها بقوة، استخدم المنهج التجريبي في الأبحاث العلمية وبحث في الحركة النسبية وقوانين سقوط الأجسام، اخترع ترمومتر هندسي، واستخدم البندول في قياس الزمن، من مؤلفاته: ساجياتوري ١٦٢٣م في الفيزياء. تمت محاكمته عام ١٦١٦م بحجة مخالفته للمؤسسة الكنسية، والاشتباه بالهرطقة، حكم عليه بالسجن ثم خفف الى الإقامة الجبرية، ومنعت كتبه، وظل منفيا في منزله حتى وفاته.

(***) Giordano Bruno(١٥٤٨-١٦٠٠م) راهب دومنيكي وفيلسوف ايطالي، اعتنق نظرية دوران الأرض لكوبر نيكوس ووضع فرضية أن النظام الشمسي هو واحد من مجموعة نظم تغطي الكون في صورة نجوم، واعتقد أن الكون لانهائي، وأن النظم النجمية الأخرى تشتمل على كواكب ومخلوقات عاقلة أخرى. لذلك تم نفيه، وبعد أن عاد، قبضت عليه محاكم التفتيش وسجن ثمان سنوات، بعد ذلك قطعت لسانه وأحرق حيا بتهمة الكفر. من مؤلفاته: مائة وعشرون وصية للرد على المشائين١٥٨٦م (هدم فيه فلسفة ارسطو).

(54) فرح انطون، ابن رشد وفلسفته، ص:٢٢٧

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- المساواة بين أبناء الأمة مساواة مطلقة بغض النظر عن معتقداتهم ومذاهبهم . ولا يمنع ذلك انتماء رجال السلطة الى أي دين، بشرط ألا ينصبوا أنفسهم للدفاع عن دين بعينه، حتى لا يصبح الحق للقوة. مما يسهم في إضعاف الأمة وإثارة الفتن الداخلية والاضطرابات.

٣- شرعت الأديان للأخذ بيد الإنسان الى الآخرة وليس لتدبير الدنيا. لأن دائرة الإيمان القلب والتسليم الى الله. بينما أحوال العصر ومقتضياته تختلف من زمن الى آخر، وليس بالإمكان تدبير الحاضر بالماضي.

٤- الجمع بين السلطتين الدينية والسياسية سوف يسهم في اضطهاد العقل الإنساني والتفكير المنطقي، وتغذية الشقاق الديني، و تعريض المبادئ الدينية المقدسة لأوحال السياسة ومفاسدها. مما يؤدي الى جهل الأمة وعجزها. و يتفق في انتقاده للسياسة مع الإمام "محمد عبده"، وإن كان انتقاد "محمد عبده" لها بسبب ما تؤدي اليه من جمود في الأديان، بينما يذمها" انطون" لبعدها عن الأخلاق والإخاء.

٥- استحالة الوحدة الدينية؛ لإختلاف الناس في أفكارهم ومعتقداتهم، ولكل أمة مصالحها المختلفة و المناقضة للأخرى. يقول: "إن العقل البشري مطبوع على الإختلاف والتباين، تأملوا هل تجدوا أمتين بل عائلتين بل رجلين بل أخوين أو أختين بأفكار واحدة، فالكون مطبوع على التنوع"[٥٥]. كذلك الشعوب في تطورها ومنذ بداية العصر الحديث صارت تطالب بالوحدة الوطنية والإنتماء القومي بدلا عن الوحدة الدينية. وأخيرا يؤكد "فرح انطون" على أن التساهل لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل دولة مدنية تحترم الأديان في تنوعها. "لا مدنية حقيقية ولا عدل ولا مساواة ولا أمن ولا ألفة ولا حرية ولا علم ولا فلسفة ولا تقدم في الداخل إلا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية .. ولا سلامة للدول ولا عز ولا تقدم في الخارج إلا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية."[٥٦] وأن الأخذ بالتساهل سوف يسهم في فتح باب الإجتهاد والتأويلات المخالفة واحترام المختلف، مما يؤسس لقيم الإختلاف والتنوع المعرفي الخلاق .ويلاحظ مما سبق اسهام "انطون" في التأطير النظري لمفهوم التسامح .

---

(55) المرجع السابق، ص:٢٧٠

(56) المرجع السابق، ص:٢٧٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- محمد عابد الجابري: *

أما المفكر المغربي" محمد عابد الجابري" - ضمن مشروعه الذي يهدف الى تبيئه المفاهيم الحديثة كالديموقراطية وحقوق الإنسان ومفاهيم الحداثة وغيرها – فقد ذهب الى البحث عن مقابل لمفهوم التسامح في التراث العربي الإسلامي.

ويستهل الجابري حديثه عن مفهوم التسامح بالتأكيد على غياب لفظ التسامح في الخطاب الفلسفي عموما سواء في الفلسفة العربية أو الفلسفة اليونانية أو الاوروبية باستثناء خطاب سياسي لاهوتي نتج عن ظروف تاريخية معينة، في القرن السادس عشر الميلادي تقريبا. وأشار الى أنه على الرغم من تعدد وتنوع المذاهب الفلسفية التي ناقشت الأخلاق، إلا أن لفظ التسامح لا حضور له إلا بصورة نادرة وعرضية في الغالب. حيث خلا سجل القيم الأخلاقية التي تم تناولها -مثل الحق والخير والواجب والفضيلة والعدالة والإحسان والإيثار والرحمة - من الإشارة الى مفهوم التسامح كقيمة أخلاقية فلسفية. وخلص الى القول بأن مفهوم التسامح ليس مفهوما أصيلا في الفلسفة وإنما يقع بين الفلسفة والايديولوجيا.

عرف التسامح، بأنه موقف فكري وعملي قوامه احترام الموقف المخالف، سواء كان متفقاً معنا أو مخالفاً لمواقفنا. ورأى أن الفلسفة هي المجال المناسب لقبول التسامح بهذا المعنى والعمل به. ومنحه قوة التأثير في الفكر والسلوك، ليصبح قيمة إنسانية سامية، في مقابل التعصب الذي أصاب كيان الإنسانية بشكل مأساوي . فما هي طبيعة العلاقة التي وجدها الجابري بين الفلسفة والتسامح؟

يقول إذا كان مجال الفلسفة هو التأمل والتفكير والنقد والبحث المستمر، ومبدؤها هو نسبية كل من الحقيقة والمعرفة .فهي بذلك تمثل مساحة واسعة للإجتهاد . "إن الفلسفة بهذا

(*) د.محمدعابد الجابري(١٩٣٦-٢٠١٠م) مفكر مغربي واستاذ للفلسفة والفكر العربي الاسلامي المعاصر في جامعة الرباط منذ١٩٦٧م.من مؤلفاته؛ تكوين العقل العربي١٩٨٢م، بنية العقل العربي١٩٨٦م، العقل السياسي العربي١٩٩٠م، العقل الأخلاقي العربي، نحن والتراث" قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي "، العصبية والدولة١٩٧١م، "مدخل الى القرآن "في ثلاث مجلدات، مدخل الى فلسفة العلوم، من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية ١٩٧٧م، اشكاليات الفكر العربي المعاصر١٩٨٦م، التراث والحداثة١٩٩١م، الخطاب العربي المعاصر١٩٨٢م، مسألة الهوية "العروبة والإسلام والغرب" ١٩٩٥م، ابن رشد سيرة وفكر، الدين والدولة وتطبيق الشريعة...وغيرها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعنى ميدان للإجتهاد"[٥٧]. والمجال الطبيعي لتحقيق التسامح هو الإجتهاد. ويتضمن هذا المعنى اعتراف بالإختلاف والتنوع في الحياة الإنسانية. من منطلق الفكرة التي ترى "أن كل مجتهد مصيب". فقد جاء عن أبي حنيفة النعمان* قوله: "كلامنا هذا رأى، فمن كان عنده خير منه فليأت به."[٥٨]

ويشترط "الجابري" أن تظل الفلسفة مخلصة لمبدئها الذي يبحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة. وهنا يتساءل الجابري قائلا :هل ظلت الفلسفة طوال تاريخها مخلصة لمبدئها في البحث عن الحقيقة؟ ويجيب عن ذلك بالنفي، مستشهدا بما قاله "ياسبرز"* :" إن الفلسفة غالبا ما خانت نفسها، فتجاوزت مهمتها من البحث عن الحقيقة الى إدعاء امتلاكها، وانزلقت ..الى درجة الإنحلال في وثوقيه، في معرفة مصبوبة في صيغ، في يقينية نهائية وكاملة صالحة لأن تنقل بالتعليم الى الآخرين."[٥٩] .وهكذا فإن الفلسفة إذا تخلت عن مهمتها النقدية، وتركت الشك المنهجي وتحليل الأفكار، واستبدلت ذلك باليقين المذهبي وتعميم الأفكار، فإنها تتحول إلى ايديولوجيا، مما يفسح المجال للاتسامح والعنف بدلاً من التسامح. يقول: "تتحول الفلسفة إلى إيديولوجيا، كلما تخلت عن مهمتها النقدية واستسلمت للأمر الواقع تعكسه بوصفه الحقيقة، أو انساقت مع إغراء "أمر واقع" آخر، يشيده الخيال –والخيال الفلسفي نفسه – مثالاً ونموذجاً وبديلا عن الوضع السائد. هنا يسود منطق صراع المصالح على منطق البحث عن الحقيقة، فتحل مقولة "الصراع"، محل مقولة "التسامح"[٦٠]. ويتفق في ذلك مع ما ذهب اليه "فولتير" الذي وصف التعصب بالمرض المعدي الذي يصيب النفوس، ويصعب علاجه بواسطة الدين أو القوانين ولا علاج له سوى الروح الفلسفية . وعملية تحول الفلسفة الى ايديولوجيا أمر طبيعي في فترات معينة من التطور البشري-حسب الجابري- ولا يشكل خيانة لذاتها؛ لأن الفلسفة لا يمكن لها أن

---

(57) د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت. الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٧م، ص: ٢٠

(*) (٨٠-١٥٠ه/٦٩٩-٧٦٧م)، ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فقيه وعالم مسلم وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة .وصاحب المذهب الحنفي.

(58) د. عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي. ص: ٧٢

(*) Karl Jaspers(١٨٨٣-١٩٦٩م)؛فيلسوف وجودي وطبيب نفسي ألماني، جمع في تفكيره بين العقل والايمان. من أشهر أعماله؛ الباثولوجيا النفسية العامة، مشروع فينومنولوجي للأمراض النفسية، علم النفس المرضي العام١٩١٣م، سيكولوجيا النظر الى العالم، تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية.

(59) الجابري مرجع سابق، ص ٢٠-٢١

(60) د. الجابري، مرجع سابق، ص: ٢١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تظل متعالية على الزمان والمكان، بعيدة عن قضايا الإنسان والمجتمع. فإذا كانت الأيديولوجيا تتماهى مع قضيتها في زمن ما، فإن على الفلسفة أن تكون قوة دافعة تسعى الى تجاوز الأجوبة القائمة، بطرح أسئلة جديدة تتجاوز فيها لحظة امتلاك الحقيقة الى زمن البحث عن الحقيقة. لذلك كانت أهمية منهج الإجتهاد وضرورة الإعتراف بالإختلاف كبديل للخروج من سجن الأيديولوجيا والاستبداد المذهبي.

ثم يبحث الجابري عن معنى شامل لمفهوم التسامح، يتسع لجميع مجالات الحياة المختلفة الدينية والسياسية والأيديولوجية...الخ. لأن الحاجة التي تدعو إلى توظيف شعار التسامح والمعنى الذي سوف يحمله، يختلف من ميدان إلى آخر؛ فالحاجة في المجال الديني، هي انتشار ظاهرة التطرف الديني والمذهبي في أنحاء مختلفة من العالم، نتيجة لتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد، وتعدد الطقوس الدينية داخل الدين الواحد . ويأتي التسامح هنا بمعنى عدم الغلو في الدين، والتساهل مع الآخرين واحترام حقوق الأقليات الدينية دون أي تضييق أو عنف ." التسامح يعني التخفيف إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة، المقصودة أو غير المقصودة، التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد "[٦١]. وفي مجال السياسة، تأتي الحاجة للتسامح من أهمية احترام الحق في الإختلاف والحق في التعبير الديموقراطي الحر، بعيدا عن القوة العددية داخل المجتمع. ويتمثل في تمكين الأقلية السياسية أو الدينية من الحضور في المؤسسات الديموقراطية، وممارسة حقها في الدفاع عن مصالحها المختلفة...وهكذا. وفي مجال الأيديولوجيا، هناك الأفكار والنظريات التي تفرض نفسها في ظل طابع العولمة الذي فرض سيطرته الاقتصادية ويهدف الى الهيمنة على العالم ككل . بالإضافة الى النظريات التي تبشر بصراع الحضارات؛ الحضارة الغربية وحضارات أخرى خاصة الحضارة الإسلامية والصينية. ويأتي التسامح كقيمة أخلاقية سامية تسهم في تحقيق الأمن والإستقرار والإطمئنان على مصير الإنسانية.

ويشير "الجابري" الى أهمية أن يدخل العدل في مضمون المعنى الشامل للتسامح. لضمان المساواة في الحقوق والواجبات بين الأفراد على اختلافهم وتنوعهم. ويستشهد بموقف "المعتزلة" *الذين أطلقوا على أنفسهم أهل العدل " حينما عرفوا العدل بقولهم :" إنه توفير حق الغير واستيفاء الحق منه "[٦٢] .

---

(61) د. الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ص : ٢٩

* فرقة اسلامية، نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، مؤسسها: واصل بن عطا الغزال، اعتمدت على العقل في فهم العقيدة وامتازت بالأصول الخمسة(التوحيد، العدل، المنزلة بين المنزلتين، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(62) نفسه، ص: ٣١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويجد هذا المعنى للتسامح، في موقف "ابن رشد " في التراث العربي الإسلامي؛ الذي طالب بكسر التقوقع المذهبي ورفض التعصب للرأي والمذهب والإعتراف بحق الإختلاف و رفض فكرة إلغاء الآخر. ويشير "ابن رشد" الى عدد من الأسس والقواعد التي تحث على التسامح كقيمة أخلاقية. وإن كان لم يستخدم لفظ تسامح وأشار اليه بمعنى "العدل" وتتمثل هذه القواعد فيما يلي:

- الإعتراف بحق الإختلاف؛ وهنا يبين "ابن رشد" أهمية التزام العدل كحق للجميع، والنزاهة ونصرة المظلومين، يقول: "إن العدل واحد والظلم كذلك واحد، والعدل حق للإنسان سواء في ميدان العمل أو في مجال النظر، سواء تعلق الأمر بأهل ملتنا أو بغيرهم من الملل."[٦٣]
- ضرورة فهم الرأي الآخر في إطاره المرجعي الخاص به و تفهم موقف الخصوم إذا ما أخطأوا . يقول:" ينبغي لمن آثر طلب الحق إذا وجد قولاً شنيعاً ولم يجد له مقدمات محمودة تزيل عنه تلك الشنعة، أن لا يعتقد أن ذلك القول باطل، وأن يطلبه من الطريق الذي زعم المدعي له أن يوقف منها عليه، ويستعمل في تعلم ذلك من طول الزمان والترتيب وما تقتضيه طبيعة ذلك الأمر المتعلم."[٦٤] . وضمن هذا السياق، انتقد موقف الغزالي- في نقده للفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة"، والحكم عليهم بالخطأ وفساد الرأي- ورأى أن ذلك لا يليق بأهل العلم والنظر. و كان من الأجدر به أن لا ينكر فضلهم، لأن معظم ما استفاده كان بفضل كتابات الفلاسفة التي اطلع عليها. يقول مخاطبا الغزالي:" وهبك اذا اخطأوا في شيء، فليس من الواجب أن ينكر فضلهم في النظر، ومارضوا به عقولنا..."[٦٥] .
- التعامل مع الخصم والتزام الموضوعية والإعتراف له بحق الدفاع عن رأيه؛ سواء كان من أهل ملتنا ومذهبنا أم كان من المخالفين لنا في ذلك. يقول:" "من العدل أن يأتي الرجل من الحجج لخصومه بمثل ما يأتي لنفسه، أعنى أن يجهد نفسه في طلب الحجج لخصومه، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه، وأن يقبل لهم من الحجج النوع الذي يقبله لنفسه." [٦٦] .

---

(63) د.محمد عابد الجابري، ابن رشد سيرة وفكر "دراسة ونصوص" مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، الطبعة الثانية، عام٢٠٠١م، ص:١٤٦.

(64) المرجع السابق، ص:١٤٦

(65) ابن رشد، تهافت التهافت، سلسلة مؤلفات ابن رشد (٣)، اشراف: د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص:٨١.

ابن رشد، المرجع السابق، ص: ٨٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الدفاع عن علوم الغير والاستفادة منها: فمن المهم أن ننظر فيما قالته الأمم السابقة وأثبتته من علوم وأراء عن "الله " والعالم والإنسان. يقول: " إذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى :"فاعتبروا يا أولي الأبصار"، وجوب معرفة القياس الفقهي .فإنه" بالأحرى والأولى أن يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس "العقلي"...وأن يستعين في ذلك (المتأخر بالمتقدم)." [٦٧] . بشرط أن نأخذ من علومهم ومعارفهم ما يتفق مع مقاصد الشرع، أما ما كان مخالفا فواجبنا الحذر منه." إن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع، إذا كان مغزاهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصد الذي حثنا الشرع عليه."[٦٨]
- الاعتقاد بنسبية الحقيقة العلمية وإمكانية التقدم العلمي.

ولا يكتفي "ابن رشد" بالتأكيد على أهمية المساواة، وانما يضيف اليها إعطاء الأولوية للغير، ويرفع من قيمة احترام الآخر واحترام رأيه الى درجة الإيثار. وبذلك نصل الى قمة التسامح -حسب رأي الجابري- الذي اختلف في معناه عن التساهل مع الغير أو التغاضي عنه.

وينتهي "الجابري" الى التأكيد على إمكانية توظيف مثل هذا المعنى الشامل للتسامح في القضايا التي تتحدى العقل والفلسفة في العصر الراهن. يقول: "إن الانطلاق من " توفير حق الغير " يضع في قفص الإتهام وفي آن واحد كلاً من التطرف الديني والتطهير العرقي كما أنه يحرج التفكير الأحادي الذي يلغى الحق في الإختلاف، ويفضح مقولة " صراع الحضارات...التي تريد إخفاء الصراع حول المصالح، ويطرح بديلاً عنها الدعوة إلى " توازن المصالح "[٦٩].

تعقيب:

- يعبر التسامح عن علاقة بين طرفين مسامح ومتسامح معه، و تختلف هذه العلاقة باختلاف الظروف التاريخية التي تنعكس على الفرد و تفكيره، بالإضافة الى اختلاف الدوافع التي قد توحي بها .لذلك وجدت الفاظ ودلالات متنوعه تشير الى معنى التساهل مع الآخر؛ كالرحمة والإحسان والشفقة والتهذيب أو اللامبالاة.. ويختلف ذلك عن

---

(67) ابن رشد، فصل المقال فيما بين الشريعة والاتصال، تحقيق :محمد عمارة، سلسلة ذخائر العرب(٤٧)، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الثانية، ص:٢٥

(68) المرجع السابق، ص:٢٥

(69) المرجع السابق، ص:٣٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معنى مفهوم التسامح الذي يقر بمبدأ الإعتراف بالأخر والتعايش معه واحترام حقه في الإختلاف. وأشار الى ذلك كل من" اديب اسحق" "وفرح انطون" ولكن بمصطلح تساهل، وأكد "الجابري" على نفس المعنى .

- ساهمت الصراعات والحروب بين الطوائف المسيحية في القرن السادس عشر والسابع عشر، في حضور مفهوم التسامح على هيئة وصايا دينية وأخلاقية وموضوعا للتأملات الفلسفية، ومع مفكري عصر التنوير الأوروبي أصبح أكثر شمولية لمجالات الحياة المختلفة .ومن رواده : "جون لوك"، " فولتير"، "استيوارت مل"، و"سبينوزا"، وجاءت وجهات نظر هؤلاء معبرة عن احتياجات العصر آنذاك. وفرضت الظروف السياسية نفسها فكان أن وضعوا حدودا للتسامح، لا تتعارض مع انتماءاتهم القومية. ومع ذلك لم ينته الأمر الى أن يصبح المفهوم قاعده للسلوك الإنساني بشكل عام .
- مثلت الظروف السياسية والحضارية والدينية دافعا للتعامل مع الآخر، في الفكر العربي الحديث. وجاءت نظرتهم لطبيعة العلاقة معه من منظور ذات عربية - إسلامية، تعلى من قيمتها كحضارة كانت - وبلغت عظمتها في القرن الثاني عشر الميلادي - وترى إمكانية النهضة مرة أخرى، للوقوف ضد الإستعمار الخارجي والاستفادة من مدنيته من جهة والحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية من جهة أخرى. و هناك الآخر، كمستعمر من جهة، وكحضارة قائمة بما احتوته من انجازات علمية وتقنية في مسيرتها الإنسانية. إذن هناك صراع، ومع ذلك فإن فكرة التسامح هنا لا تفرض نفسها، وإنما نجدها بدلالات أخرى ارتبطت بثقافة العصر واحتياجاته، بينما يفرض التسامح نفسه غالبا في حالة التعصب الديني.
- وقف الافغاني ضد المفاهيم الليبرالية التي تدعو الى القومية واطلاق الحرية الدينية والفردية، و أعطى أهمية للتعصب .و لم يناقشه كنقيض لمفهوم التسامح، وقصد به التضامن القائم على وحدة الجنس والدين، ورفع من شأن التعصب للدين، بشرط أن يتسم بالإعتدال، ويلتزم مبدأ العدل . وذهب الى أن التعصب فضيلة بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط .ورفض التشدد المذهبي بين المسلمين، ودعا الى التسامح فيما بينهم من باب العدل لإعلاء شأنهم بين الأمم .وأشار الى احترام الاسلام وتسامحه مع أصحاب الديانات الأخرى. ورأى أن جمود العقل العربي وتخلفه يعودان الى سببين رئيسيين هما الإستبداد السياسي وشيوع الإفراط في التعصب.ودعا الى أهمية فتح باب الإجتهاد. وشاركه الرأي كل من؛ "محمد عبده " و"فرح انطون" و "الجابري" الذي وجد في الإجتهاد المجال المناسب لنشر ثقافة التسامح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أتى اهتمام الشيخ الإمام "محمد عبده" بمسألة التسامح، كموقف فكري تجاه ما نشره "فرح انطون" من أفكار بين فيها أن وجود التسامح في المسيحية أقل صعوبة منه في الإسلام .وسعى "محمد عبده" الى التأكيد على أصالة مبدأ التسامح في التراث الإسلامي، على الصعيدين النظري والعملي، في الوقت الذي نفاه في المسيحية. مشيرا الى أن الإسلام دين شمولي، ويقوم على تعدد الثقافات . وأعطى أهمية الى فكرة حوار الأديان في تحقيق السلام العالمي..، كما نفي عن الإسلام فكرة تكفير الأخر أو ممارسة العنف ضده. وانتقد السلطة باسم الدين، وكان ضد الإضطهاد السياسي لحرية التفكير . وأشار الى عدم وجود خلاف بين العلم والدين في الإسلام، وأن الفصل بينهما في اوروبا لا يعني تسامحهما، وانما قوة العلم فرضت على الدين التساهل معه . ونشير هنا الى أن التسامح ليس علاقة قائمة بين العلم و الدين كما تصور "محمد عبده "، ولكن انفصالهما ساهم في وجود التسامح. ويلاحظ حضور فكرة التسامح، في مقارنة بين توجهات الدول الاستعمارية آنذاك ومدى تسامحها مع ثقافة الدول المستعمرة، وثنائه على سياسة الحكومة الانجليزية.

وهكذا لم ينظر رواد الفكر الإسلامي الحديث للتسامح كمفهوم في سياق تطوره التاريخي، وأكدوا على أن الإسلام لا يتعارض في روحه ونصه مع الدعوة الى التسامح.

- تأثر كل من "أديب أسحق " و"فرح أنطون"، بأفكار فلاسفة التنوير الأوربي. حول أهمية المساواة و الحرية والتسامح والإنتماء القومي . نتيجة لما اتسم به واقعهم من صراع ديني ومذهبي.
- ذهب "اديب اسحق" الى أن التعصب موجود في تاريخ كل الأجيال البشرية، وأنه لم يخل من الحروب والصراعات الدينية والفتن، وله وجود في جميع ميادين العلم والمعرفة، وبأنه العلة في تأخر وتخلف الشرق، ولم يتقدم الغرب إلا بزواله. وأرجع السبب في وجوده الى مفاسد الرئاسة في الجماعات. وانتقد التعصب بأنواعه، واستخدم التسامح بمعنى التساهل .وأكد فيه على حرية الرأي والمعتقد. وحث على التسليم بنسبية الآراء . وفرق بين وجهين للتساهل؛ تساهل الضعف والقوة، والتساهل النابع عن قناعات ذاتية وعقلانية ويقوم على مبدئي الحق والعدل. ويتفق ذلك مع ما رآه الجابري في فترة لاحقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- أشار" فرح انطون "الى أن مفهوم التسامح لم يكن معروفا في التراث الإسلامي وبأنه من مفرزات قيم الحداثة.(لذلك كان تأكيد محمد عبده على أصاله التسامح في الإسلام). وعرفه بأنه القبول بالآخر المختلف، واحترام رأيه ومعتقده وحقوقه؛ لأن جميع الديانات هدفها واحد، والناس جميعا أخوة في الإنسانية ولهم الحق في ممارسة حقوقهم، وأكد على قيمة التسامح الديني .ورأى أن تحقيقه على أرض الواقع يستدعي وجود دولة مدنية تفصل بين السلطتين السياسية والدينية. وتقوم على مبدأ المساواة والعدل بين المواطنين، وتقدر حرية التفكير والمعتقد. وأن الأخذ بالتساهل سوف يسهم في تقبل التأويلات المخالفة واحترام المختلف .وبذلك يكون "انطون "قد ساهم في التأطير النظري لمفهوم التسامح.
- وهكذا لم يكن لدى المفكرين العرب، أي تحفظ من استلهام المفهوم من الغرب، والدعوة اليه .وأشاروا اليه بمعنى التساهل، الذي يؤسس لقيم الإختلاف والتنوع المعرفي الخلاق في ظل دولة مدنية عادلة.
- نظر "الجابري" الى التسامح باعتباره، موقفا فكريا وعمليا قوامه احترام الموقف المخالف، سواء كان متفقاً معنا أو مخالفاً لمواقفنا . ورأى بأن الفلسفة أكثر المجالات حيوية لقبول التسامح بهذا المعنى والعمل به. وسبق أن أشار "فولتير" الى أنه لا علاج لهوس التعصب سوى الروح الفلسفية. حيث النقد والتأمل والتفكير والبحث المتواصل، ونسبية كل من الحقيقة والمعرفة .مما يؤكد على الإعتراف بالتنوع والإختلاف في الحياة الإنسانية. بشرط أن تظل الفلسفة مخلصة لمبدئها في البحث عن الحقيقة من أجل الحقيقة .أما إذا تخلت الفلسفة عن مهمتها النقدية، فإنها تتحول إلى أيديولوجيا، مما يفسح المجال للاتسامح والعنف. وسعى الجابري الى البحث عن معنى شامل لمفهوم التسامح، داخل التراث العربي، ووجده في موقف "ابن رشد " الذي طالب بكسر التقوقع المذهبي ورفض التعصب للرأي، ودعا الى الإعتراف بحق الإختلاف، واحترام الرأي الآخر، والاستفادة منه والإعتقاد بنسبية الحقيقة العلمية وإمكانية التقدم العلمي. وإن كان "ابن رشد" لم يستخدم لفظ تسامح، وعبر عنه بمعنى العدل. وسمى به الى درجة الإيثار. و بهذه الدلالات القائمة على أسس عقلانية في النظر الى الآخر، يصبح التسامح قيمة أخلاقية سامية .

وهكذا ينتهى الجابري" الى إقرار وجود معنى لمفهوم التسامح داخل التراث العربي بصورة تجعله يعبر عن نفس المعنى الليبرالي الذي أعطي له في الفكر الاوروبي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن ثم إمكانية توظيفه في التفكير فلسفيا بقضايا الفكر المعاصرة بهدف الوقوف أمـــام تيار التعصب الذي بدا يطغى على الوضع العالمي و حياة الشعوب.
وأخيرا، سيظل التسامح فكرة نظرية تدور حولها الأبحـــاث والدراســـات، ولكـــن دون جدوى إذا ظلت البيئة العامة للأفراد غير متسامحة في علاقاتها الأساسية، وفي موقفها من الآخر المختلف. وظلت المصالح هي التي توجه السلوك والأفكار وليست الأخلاق.
و كم نحن بحاجة الى نشر ثقافة التسامح والإحساس بقيمة الذات وتفوقهـــا، فـــي ظـــل علاقة سوية مع الآخر.

تم بحمد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصادر والمراجع

اولا: المصادر:

١-ابن رشد - تهافت التهافت، (سلسلة مؤلفات ابن رشد "٣")، إشراف د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.

٢-ابن رشد - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال. تحقيق د. محمد عمارة سلسلة ذخائر العرب (٤٧)، دار المعارف-القاهرة، الطبعة الثانية.

٣- اديب أسحق، جمع واختيار: جورج ميخائيل نحاس - الدرر، مطبعة جريدة المحروسة – الاسكندرية، ١٨٨٦م.

٤- اديب اسحق واخرون - أضواء على التعصب "من اديب اسحق الى... ناصيف نصار والافغاني "، دار امواج للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م .

٥- جمال الدين الافغاني، تحقيق وتقديم: د. علي شلش - سلسلة الأعمال المجهولة، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧م

٦- جون ستيوارت مل، ترجمة: د.هيثم كامل الذبيدي. عن الحرية، منتدى مكتبة الاسكندرية www.alaxandra.ahlamontada، com

٧-جون لوك، ت:منى أبو سنه، تقديم ومراجعة: د.مراد وهبة - رسالة في التسامح، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٨-سبينوزا، ترجمة وتقديم: - رسالة في اللاهوت والسياسة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د. حـــــسن حنفـــــي، مراجعـــة : د. فـــؤاد زكريا

٩-فرح انطون - ابن رشد وفلسفته، دار الفارابي- بيروت، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٧م.

١٠-فـــــــولتير، ت: هنرييت عبودي - رسالة في التسامح، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م.

١١-د.محمـــد عابـــد الجابري - ابن رشد سيرة وفكر "دراسة ونصوص"، مركـــز دراســـات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.

١٢-د.محمـــد عابـــد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربيـــة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.

١٣-محمدعبده، تحقيق: د.محمد عمارة - الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده "في الكتابات الـــسياسية"، دار الشروق- القاهرة (طبعة خاصة لمكتبة الأسرة ٢٠٠٨-**٢٠٠٩م**).

١٤-محمد عبده - الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

ثانيا: المراجع:

١-أندريه لالاند - الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليـــل، منـــشورات عويدات –بيروت، المجلد الثالث، طبعة ٢٠٠١م.

٢-د.جابر عصفور - النقاش الأول في التسامح والتعـــصب فـــي الفكـــر العربـــي الحديث، دراسة في مجلة التسامح، العدد (١٢)، ٢٠٠٥م.

٣-جوزيف لوكلير، ت:د. جورج سليمان، مراجعة: سميرة ريشا - تاريخ التسامح في عـــصر الاصـــلاح، المنظمـــة العربيـــة للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيـــروت، الطبعـــة الأولى، ٢٠٠٩م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤-د. حسن حنفي - جمال الدين الأفغاني، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م

٥-د. عبدالحسين شعبان - فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي "الثقافة والدولة"، دار النهار، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٦-د.عاطف العراقي - الفلسفة العربية "مدخل نقدي"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٧-د.عبد المنعم الحفني - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

٨- د. عثمان أمين - رواد الوعي الإنساني في الشرق الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٩-على بن حسين المحجوبي - حقوق الإنسان بين النظرية والواقع "مقارنة تاريخية"، مجلة عالم الفكر المجلد (٣١)، مجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب- الكويت، ٢٠٠٣م.

١٠-د.فريال حسن خليفة - الفلسفة والتسامح والبيئة، مكتبة مدبولي- القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

١١-د.فؤاد زكريا - سبينوزا، دار التنوير- بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م

١٢-محمد رشيد رضا - تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده، الجزء الأول، القسم الأ ول، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

١٣-د.مراد وهبه - ملاك الحقيقة المطلقة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٩م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Paul Edwards, The Encyclopedia Philosophy, volume three, Macmillan Publishing Co., Jnc. & the Free Press New York.1972.
- Alburey Castell, An Introduction To Modern Philosophy "Examining The Human Condition, Fourth Edition, Macmillan Publishing Co., Inc, New York, 1983.
- Etienne Balibar, Spino za and Politics, translated by Peter Snowdon, Verso, London, 1998.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com